"الحي القصديري كبناء اجتماعي في المجتمع الجزائري" –تلمسان أنموذجا–

The tin neighborhood as a social structure in Algérian society -Tlemcen mode-

آمنة بلحساين [1]،

[1] جامعة أبو بكر بلقايد. تلمسان، Fati_2007@live.ca

تاريخ الإرسال: 05-12-2021 **تاريخ القبول:** 06-09-2022 **تاريخ النشر:** 31-12-2022

ملخص: لا يزال التجاذب البشري بين العيش في المدينة أو الإقامة في الريف يأخذ حيزاً كبيراً من اهتمام المخططين وعلماء الاجتماع والأنثروبولوجيا وكذا الاقتصاد، فمنذ أواخر القرن *18* حتى يومنا هذا، والزيادة السكانية نحو المدن في أحياء قصديرية على حساب المناطق الريفية، آخذة في الارتفاع بشكل مثير للجدل عن مستقبل الأرياف،وعن التطلعات نحو إمكانية إيجاد حياة أفضل. هذا ما سنعالجه في هذه الورقة البحثية في سبيل فهم الحي القصديري كبناء اجتماعي يخضع لمعايير تضبطه كفضاء متكامل و تميزه عن باقي الفضاءات.

الكلمات المفتاحية: البناء الاجتماعي.، النظام الاجتماعي.، الحي القصديري.، المجال الجغرافي.، المدينة.

Abstract :

The human attraction between living in the city or living in the countryside still takes a great deal of interest from planners, sociologists, anthropologists, as well as economics, since the late 18th century until the present day, and the population increase towards cities in shantytowns at the expense of rural areas, is controversially rising About the future of the countryside, and aspirations towards the possibility of creating a better life. This is what we will address in this research paper in order to understand the tin construction as a social structure subject to criteria that control it as an integrated space and distinguish it from the rest of the spaces.

Keywords The social structure; the social system; tin district; the geographical area; the city.

المؤلف المرسل: آمنة بلحساين: Fati_2007@live.ca

1- مقدمة:

بدأ تفكير الإنسان في إيجاد مجتمع منذ الأزل، فقد بدأ في إنتاج أنظمة اجتماعية تخدمه في ظل اجتماعه بغيره وفق علاقات أخذت بالتبلور عبر المراحل الإنسانية، بدء بالوحشية وصولا للمرحلة المتحضرة معبرة عن أنساق ونظم اجتماعية متفاوتة من حيث البساطة والتعقيد. في محاولات من الإنسان أن يوفق بينه وبين ما يسود المجتمعات من :معايير وقيم في منظومة منظمة ومتكاملة من المؤسسات والبناءات الاجتماعية كمفهوم أساسي في مجال الأنثروبولوجيا الاجتماعية.

فالإنسان ليس بكائن بيولوجي فقط بل هو كائن حضاري، يستطيع إنشاء أنماط وقوالب اجتماعية تجيز تنظيم علاقاته مع باقي أفراد المجتمع، كما تتيح له التعامل مع مختلف التركيبات والتنظيمات الاجتماعية التي تأخذ صورة أبنية اجتماعية والتي بدورها تعطي شكلا عاما للنظام المستقر نسبيا داخل المجتمع.

ارتبطت الأنثروبولوجيا في بداياتها بدراسة الثقافات المصنفة بدائية، بحيث "أن الغالبية العظمى من أبحاث الأنثروبولوجيا تختص بالمجتمعات البدائية مما أدى إلى وصف هذا العلم بأنه علم اجتماع المجتمعات البدائية"(وصفي، عاطف، ص 59) ، إلا أنها تعنى بدراسة المجتمعات الإنسانية بكل مستوياتها الحضارية.

فينصب اهتمامها على دراسة أشكال النظم الاجتماعية وتحديد علاقات التفاعل المتبادل فيما بينها من خلال تحليل البنية والوظائف وأنماط العلاقات بين الأفراد من جهة، وبين النظم من جهة أخرى، بهدف تحديد نوع هذه العلاقات المتبادلة و المتفاعلةداخل النظم المترابطة ارتباطا وظيفيا، وبالتالي تصنيفها حسب أبنيتها وتحديد مظاهر التداخل بين النظم الاجتماعية التي تكونها، وطرق تكيفها مع بعضها في المركب الاجتماعي الكلي، مع تحديد وظيفة كل جزء من النظام الاجتماعي من حيث أنه نسيج متشابك من العناصر، الحضارية "فتحلل السلوك الاجتماعي الذي يتخذ في العادة شكل نظم اجتماعية كالعائلة

ونسق القرابة والتنظيم السياسي والإجراءات القانونية والعبادات الدينية "(Pritchard,Evans, P 12). فهي نظم تمثل جانب من جوانب المجتمع وتحدد قواعده.

البناء الاجتماعي :

"يستخدم المصطلح بصفة خاصة في تحليل القرابة والنظم السياسية والقانونية في المجتمعات...فهو العلاقة الاجتماعية التي تعطي للمجتمع صورته الأساسية والتي تفرض قيود على أساليب الفعل الممكنة تنظيميا"(الجوهري عبد الهادي ، 1998، ص 48).

أو هو منظومة نظامية من العلاقات الاجتماعية المختلفة والثابتة نسبيا، وما تقوم عليه من أسس وقواعد التي تستعرض الجانب الثقافي لتلك العلاقات.

البناء الاجتماعي عند ***راد كليف براون*** " يتكون من المجموع الكلي للعلاقات الاجتماعية لكل الأفراد في لحظة معينة من الزمان""(الجوهري عبد الهادي ، 1998، ص 49).

من وظائف البناء الاجتماعي تنظيم سلوك الأفراد من خلال ضبطهم اجتماعيا بتوزيع الأدوار والامتيازات لضمان وحدة عضوية متوازنة العناصر.

البناء الاجتماعي عند***فورتس*** :"ليس البناء الاجتماعي جانبا من الثقافة بل هو الثقافة الكلية لشعب معين يدرسه في إطار نظرية خاصة"(الجوهري عبد الهادي ، 1998، ص 49).

فهو يعبر عن العلاقات داخل الوحدات الاجتماعية الصغيرة في الأسرة مثلا كعلاقة الأب بالأم والأبناء، والعلاقات خارج الإطار الأسري عند القيام بالأدوار الاجتماعية في عمليات التفاعل بين مختلف أطياف وشرائح المجتمع.

وهذا ما يشكل الموضوع الأساسي في الأنثروبولوجيا الاجتماعية التي تهدف إلى تحديد العلاقات المتبادلة داخل هذه البناءات .

يرتبط هذا المفهوم بالأنشطة النمطية والتفاعلات المستمرة المنتظمة التي تربط بين أجزاء الكل المتكامل.

البناء الاجتماعي هو الإطار الاجتماعي العام الذي يربط بين العلاقات الاجتماعية والأنشطة والتفاعلات النمطية التي تميز سلوك الأفراد داخل الجماعة.

المؤسسة الاجتماعية :

" المؤسسة الاجتماعية نظام مركب من المعايير الاجتماعية المتكاملة المنظمة من أجل المحافظة على قيمة اجتماعية أساسية" أو هي " نظام معياري يحقق الحاجات الإنسانية الأساسية " (جامع نبيل محمد ، 2011، ص 1) من خلال آليات محددة تؤدي وظائف تضمن بذلك استقرار البناء.

المؤسسة الاجتماعية نظام يحدد القيم والأدوار والمراكز الاجتماعية ويعمل على استقرارها في المجتمع لتحقيق غايات المجتمع في بيئة معينة.

نعني بالمؤسسة الاجتماعية الأنظمة المعيارية التي تضبط سلوك الأفراد من أنماط كالانضباط، فتحدد سلوكهم وأدوارهم في شكل منظم وثابت فيتفاعل الأفراد فيما بينهم لإشباع حاجاتهم المتبادلة من أجل الحفاظ على الاستقرار، الأمر الذي يعود بالنفع على كل فرد.

البناء الاجتماعي مفهوم يتشكل من عدة نظم اجتماعية داخل إطار عام اجتماعي مستقر يتم فيه التفاعل بصورة إيجابية تعيد إنتاج نفس النمط من أجل الثبات الديناميكي الذي يتغير بدرجات طفيفة ليحقق النموذج المستقر للتنظيم الداخلي لجماعة ما.

وبالتالي استمراره داخل النسق الشامل الذي ينتمي إليه، يتجلى مجتمعيا في سلوكات وأدوار وممارسات مختلفة للفاعلين داخل النسق الواحد بطريقة متكاملة ككيان اجتماعي يخضع الأفراد إلى أسسه وقواعده وآلياته التي تنظم جماعة مجتمعية معينة، إذ" تتم ضمن قوالب روتينية مؤسسة"(عثمان إبراهيم عيسى، 2009، ص 103) هي عملية مستمرة لإنتاج نفس القيم والخضوع لنفس المعايير عن طريق التنشئة في محاولة الحفاظ على أنماط السلوك والعلاقات كمنظومة تشكل في مجموعها بناء اجتماعيا متكاملا متميز عن باقي أبنية المجتمعات الأخرى المتباينة وظيفيا.

يعبر البناء الاجتماعي عن مكوناته من حيث هو نسيج من العلاقات الاجتماعية التي تربط أفراد الجماعة الواحدة.

يبقى البناء الاجتماعي النمط المستقر نسبيا الذي يحدد العلاقات الاجتماعية و وظائفها في شكل أدوار تقسم وفق التنظيم الداخلي لجماعة تجسد ثقافة معينة.

إذ هي منظومة علاقاتية من أجل المحافظة على النمط القائم الذي يحتاج إلى البقاء .

و كمسلمة فإن تكامل البنى والوظائف الاجتماعية ضرورة للمجتمع.

الحي القصديري :

ظاهرة الأحياء القصديرية للتجمعات السكنية ظاهرة عالمية اقترنت بدول العالم الثالث، نمو حر لسكنات عشوائية لا تتفق و النسيج العمراني الحضري أو شبه الحضري، تستدعي بناء بدون ترخيص في غالب الأمر وغير مخطط.

" تتمثل في الأحياء المتخلفة، أو أحياء واضعي اليد المحيطة بالمدن الكبرى في العالم الثالث،وهي نتاج للهجرة الريفية الحضرية إلى المدن التي ليست مهيأة لاستقبال تدفق هؤلاء المهاجرين "(شميث شالوت سيمور ، 2005 ، ص 449).

تشكل الأحياء القصديرية مباني هامشية عشوائية مخالفة لكل أسس التخطيط والتنظيم العمراني المتعارف عليه. وهي عبارة عن ملجأ يأوي إليه النازحون من الأرياف على أمل الحصول على حياة أفضل، كنتيجة حتمية لزيادة التدفق الريفي نحو المناطق الحضرية.

فهي منطقة غير محددة تابعة لأراضي الدولة، اتخذها الأفراد كمناطق سكنية غير شرعية في المدينة أو أطرافها في حركة نزوح نحو المدينة، مباني من الزنك، الصفيح، الطين و الكرتون.تتميز بتدني خدماتها الاجتماعية وانعدام شروط الصحة والعيش الكريم، الراحة والأمان، ومن كهرباء وماء ، وكذا شبكات الصرف الصحي.

"هي مساكن عشوائية النظام وتلقائية في البناء و متواضعة المساحة، وغالبا ما تكون من طابق واحد، وتتألف من حجرة أو حجرتين.." (عمر محمد علي محمد : 2015 ، ص388)

هي أحياء تكون قريبة من وسط المدينة من حيث الموقع الجغرافي و محدودة النطاق، تمثل مناطق تحول من النمط الريفي إلى الحضري لتظهر ثقافة فرعية على هامش المدينة، لا تتناسب مع النهضة الحضرية والعمرانية المتسارعة. هي أحياء تضمن لسكانها الحد الأدنى من متطلبات العيش في ظروف اجتماعية واقتصادية غير مستقرة .

يتم بناؤه بمواد أولية بسيطة مثل: الصفيح، الخشب، الطين،الكرتون، القماش القديم... يأخذ على شكل مجمعات متلاصقة على ضفاف الوديان، تمتد إلى أملاك الدولة بصفة التعدي عليها.

هي تجمعات سكنية تعبر عن عدم قدره نظام إنتاج السكن في احتواء مشكل الإسكان، إذ يمكن ملاحظة اختلافها عن نماذج الإسكان في الوسط الحضري.

كما يجدر الإشارة إلى أنها تمثل بؤرة لكافة أنواع الآفات والمشاكل الاجتماعية، الأمنية والصحية، من جرائم، أوبئة ونشاطات غير مشروعة ما جعل السيطرة عليها أمر صعب على الجهات المعنية.

البناء الاجتماعي للأحياء القصديرية:

تشير كلمة بناء إلى نوع من التسلسل بين الأجزاء التي تشكل في مجموعها الكل. فكل جزء يمثل مركز معين يجسده أفراد الحي القصديري، في تجمع قرابي على شكل " نظام اجتماعي تترتب عليه منظومة من المعايير والقيم والحقوق والواجبات، و يتضمن توزيعا للأدوار، و يلبي حاجات الرعاية وتوفير الرزق والحماية "(شهاب سامية ، 2006-2007، ص 114)، إذ أن لكل فرد دور معين تجاه باقي الأفراد بحيث كل فرد يكمل آخر بوظيفته ضمن علاقات التأثير والتأثر البنائية فتتحدد المكانات والأدوار من خلال القيم والمعايير الاجتماعية كل حسب أعرافه حيث أن الحي القصديري عبارة عن تعمير من مختلف المناطق

الذي "يجد فيه المهاجرون مكانا للاستقرار في بداية وصولهم إلى المدينة محاولين أن تتكيف طريقة حياتهم ثقافتهم مع الأوضاع السائدة في البيئة الحضرية "(الروبي إيمان سليمان،، 2016، ص123). .

كانت المدينة في مرحلة ما قبل التصنيع " تقوم على أساس نسق القرابة "(رشوان حسن عبد الحميد، 2012، ص 91) و لما قل نفوذ عامل القرابة، تغير النمط التقليدي للأسرة وبناءها الاجتماعي "بانصهار كلي وغياب العلاقات الدموية،ولحمة القرابة، بل نلاحظ نوعا من التحول نحو تحطيم مفهوم القبيلة و العائلة الممتدة "(جدلة ابراهيم ، 2010، ص 229) بما يتماشى والنمط الجديد الذي يعبر عن نسق غير رسمي لتكتل اجتماعي متعدد الخصائص بين المعطى الريفي والحضري بالمدينة مشكلين بذلك بنيات تحتية للمجتمع.

هي صورة لبناء" يؤسسه المجال الجغرافي المحدود بحدود الجيرة السكنية وما تخلقه من تفاعل اجتماعي مستمر يتجاوز في بعض الأحيان الخصوصيات الشخصية ليكون علاقة أولية، مكونة نمطا خاصا بالتصرف اليومي بين الجيران و أبناء المجتمع المحلي"(عمر معن خليل، 1997 ، ص 96-97) يبين الجماعات الريفية الحضرية ذات القرابة الواحدة التي تبدأ في التحول نتيجة لمتطلبات التحضر وديناميات الظاهرة الحضرية.

بات من الضروري فهم الوحدات المكونة للتركيبة السكانية في الأحياء القصديرية لفهم بنياتها ونظمها وأنساقها الاجتماعية، بحيث يكون للتغير البنائي الدور الأساس في التغيير في أنماط التنظيم الاجتماعي الذي يميز الحياة في المناطق شبه أو الحضرية.

الأحياء القصديرية ظاهرة سوسيوثقافية يمكن أن تجد لها مكانا داخل المجتمع إما بالانتشار أو التوغل إلى حين الاستقرار في رقعة معينة، فتصبح كيان واقعي يصارع من أجل البقاء والاستمرار في عمليات تفاعل بين ماهو اجتماعي من مؤسسات وماهو مكاني من فضاءات، ويخلق ظروفا يومية ملائمة ويتبنى تنظيمات تتماشى مع حركية المجتمع الحضري لتكمل بنية اجتماعية من التعقيد على أساس الأدوار

والمراكز، تتحرك في إطار مجتمعي بوصفه علاقة منظمة بين الوحدات الاجتماعية المختلفة القائمة على نماذج القرابة، النزعة القبلية، المصلحة المتبادلة.

شهدت منطقة تلمسان توسع عمراني شبه فوضوي من الريف نحو المدينة ما أدى لاتساع الرقعة الجغرافية للتجمعات السكنية، نذكر مثالا على ذلك : **حي بودغن، أوزيدان،** هي مناطق شكلت قبلة لسكان الريف الراغبين بالاستقرار في المدينة منذ نهاية سبعينيات القرن الماضي، مؤسسين بذلك

تجمعات فوضوية جعلتها عرضة لزيادة عدد السكان في مجمعات غير مخططة من الأساس نتج عنها اختلال في عدة مجالات.

اعتمدنا في دراستنا هذه على بعض الأحياء المصنفة قصديرية من قبل السلطات المحلية، التي انتشرت بطريقة سريعة معبرة عن ولادة كيان اجتماعي يريد فرض نفسه وثقافته الخاصة في الأوساط الحضرية دون مراعاة أساليب التمدن، كملجأ للنازحين من الريف محاولين التكيف مع حياة اجتماعية ذات طابع ريفي متبنيين بعض القيم الحضرية، لتجد نفسها أمام ازدواجية حتمية – قروية مدنية – فرضتها الحياة في المدينة، لتثبت مدى قابليتها للتغير بين فقدان قيم واكتساب أخرى حسب المعايير الحضرية، محاولة التمسك بقيمها ومظهرة الفروق الاجتماعية والثقافية بين البيئتين الأصلية والنموذجية عند الحضر.

من نتائج الدراسة:

للعقود الثلاثة الأخيرة من القرن الماضي الأثر البارز في اختراق حيز جديد كموطن للسكن وبناء كيان جديد في المدينة بدلا من الريف، ما ترتب عنه تغير في بعض ملامح البنية التقليدية بتبني قيم دخيلة عن الثقافة الأصلية مع مراعاة أعراف القرية كالنعرة والعصبية المبنية على الرابطة الدموية في مجابهة الغريب كقاعدة أساسية لجماعة معينة.

إن ظهور الأحياء القصديرية يستلزم ظهور ثقافة جديدة تمثلهم حين يجدون صعوبة في الاندماج والتكيف داخل الفضاء الاجتماعي الحضري، في سبيل نحو إيجاد نموذج جديد للبناء اجتماعي خاضع للمتغيرات قائم على علاقات اجتماعية مُؤَسَسَة ثقافيا.

توصلنا من خلال دراستنا إلى أن:

-الأحياء القصديرية حيزيؤثر في المشهد العمراني وجغرافية المدن، كما وأن نطاقها المورفولوجي والمكاني لا يستوعب حجم الأسرة.

-تعتبر القرابة تأشيرة لدخول وتأسيس فضاء جديد المتمثل في الحي القصديري، إذ يعتبر ملجأ للعائلات والأفراد النازحين من القرى ليشكل نسيج يستجيب لمبدأ القرابة والقبيلة للدعم النفسي والمساعدة الاجتماعية والاقتصادية. فالتجمع القرابي أساس هام للإقامة رغم الظروف القاسية المحيطة إلا أن الانتماء الواحد يعد محورلتجاور العائلات والحفاظ على وحدتها وتماسكها.

- القرابة سبيل للتضامن والتآخي بدء بالرابط القرابي ما يثبت أثر البعد الديني على القرابة كمؤسسة داخل البناء الاجتماعي.

- الحي القصديري بنية اجتماعية تخضع لمبدأ السلطة الأبوية بصفة ملفتة رغم استقلال بعض العوائل النووية في مساكن فردية، إلا أن احترام مبدأ السن بالأخص عند فئة الذكور، بحيث يظهر ذلك جليا في الدور الهام الذي تقوم به المجالس العرفية كوسيلة ضبط غير رسمي في تحقيق لضبط الاجتماعي والخضوع للجماعة.

الملاحظ من خلال دراستنا أنه لا زالت الأحياء القصديرية تحتفظ بالبنية العائلية التقليدية من حيث الإقامة، الزواج،..لا ينفي ذلك التأثر بالوسط الحضري من خلال تبني بعض السمات الدخيلة، إذ أصبح الفرد يعيش نمط تقليدي، حضري بالمقابل يتمسك بأعرافه حين عودته إلى أصوله للزيارة مثلا. إذ يحاول الفرد إيجاد نمط يلائم طريقة عيشه، لا متبني للقيم الجديدة ولا خاضع مطلق لأعراف قريته، بتلك الطريقة يشكل ثقافة جديدة خاصة به مجددًا بذلك بعض السمات مع متطلبات الحياة الجديدة، إذ

نصادف ألقابا تعبر عن انتماءات جغرافية ومهنية أكثر من كونها قرابية قبلية، محاولين بذلك الاندماج في مجتمع يفرض عليهم معايير دخيلة عن مكتسباتهم مع مراعاة بعض المعايير القبلية، كالقيمة الأبوية والجْمَاعَة والمصالح المشتركة، في سبيل لإيجاد البديل عن علاقاتهم ونظمهم المفقودة في المدينة كأسلوب أو نمط جديد للعيش داخل بيئة يحاولون التأقلم معها.

الخاتمة:

حاولنا في هذا البحث إلقاء الضوء على جماعة من الجماعات الاجتماعية وكيفية تشكلها ، كما لا يمكن إغفال العنصر الإيكولوجي الذي يساهم في نشوئها، رغم الاختلافات إلا أن أفراد تلك الجماعات يشكلون شبكات اجتماعية تجمعهم ثقافة مادية متبناة تفرضها قيود أسلوب الحياة الجديدة والبيئة المختلفة والتنظيمات المتنوعة، كلها تشكل علامات التفاعل مع الحضرية وعوامل بنائية تسعى في النهاية إلى إيجاد سبل التوازن في ضوء العلاقات الاجتماعية لمجتمع محلي ذو ميزات وخصائص ثقافية معينة كالحي القصديري، في ظل المتغيرات الاجتماعية والأنثروبولوجية التي تقوم أساسا على عملية التدرج الريفي-الحضري ومدى تأثير المدينة على أنماط سلوك النموذج الريفي، وما يُراد المحافظة عليه.

قائمة المراجع:

- وصفي ، عاطف (دت) الأنثروبولوجيا الاجتماعية ، دار النهضة العربية للطباعة و النشر بيروت .د.ط ،

2- Pritchard,Evans, Anthropologie Sociale, Petite Bibliothéque Payot PARIS

3- الجوهري عبد الهادي (1998) قاموس علم الاجتماع ، المكتب الجامعي الحديث الاسكندرية ، ط3

6- جامع نبيل محمد (2011) علم الاجتماع المعاصر و وصايا التنمية ، الباب الثامن ، دار الجامعة الجديدة ، الإسكندرية

7- عثمان إبراهيم عيسى (2009)مقدمة في علم الاجتماع ، دار الشروق للنشر و التوزيع ، عمان ،ط2

8- شميث شالوت سيمور (2005)موسوعة علم الإنسان ، المفاهيم و المصطلحات الأنثروبولوجية ، تر.محمد الجوهري ، MACMILLAN Press

9- عمر محمد علي محمد (2015)جغرافية العمران الريفي- أسس و تطبيقات, دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر الاسكندرية ،ط1

10- شهاب سامية (2006) القرابة عند طوارق الهقار ، دراسة سوسيو أنثروبولوجية ، مخطوط ماجستير بإشراف د. مجاود محمد جامعة تلمسان ، قسم الثقافة الشعبية

11- الروبي إيمان سليمان (2016) المرأة والعشوائيات في العالم العربي، المكتب العربي للمعارف، القاهرة،

12 - رشوان حسن عبد الحميد (2012) المدينة ، دراسة في علم اجتماع الحضري ، المكتب الجامعي الحديث ، الاسكندرية ، ط7

13 - جدلة ابراهيم (2010) المجتمع الحضري بافريقية في العهد الحفصي ، منشورات المعهد العالي للدراسات التطبيقية في الإنسانيات –جامعة قفصة-تونس

14- عمر معن خليل (1997) نظريات علم الاجتماع المعاصر، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان،ط1